المشهد
العدد 326 - السنة الحادية عشرة ـ الأحد 1 يناير 2023 ـ 8 جمادى الأخرة 1444هـ

قالت العرب

تعاهدينى إذا برد الخريف عدًى من الأبواب.. تدفينى / واذا رياح الفراق هبّت على الأحباب.. تنجّينى / واذا ضلّيت طريق غصنك واذا غنيت لغير حُسنك.. تسامحينى / واذا بأجمل غُنا حِلمتى ولا سمعتيش سوى صمتى.. تحسينى

الروائى المصرى مطالب بإعادة كتابة تاريخ بلاده وملء الفراغات التى تركها المؤرخون

مئة عام على اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون

الاكتشافات الأثرية العظيمة قام بها أجانب بمساعدة مصريين تم إنكار دورهم بلا مبرر وحرموا حتى من حراسة آثارهم

حين ندخل أى متحف فى العالم نكتشف أن أكثر من نصفه آثار مصرية مسروقة أو مهداة ونتحسر على سقف معبد دندرة الذى يزين اللوفر

مرت مائة عام على اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون الذى لم يستقر منذ خرج من مقبرته وأصبح المسافر الأعظم سفير الحضارة المصرية فى كل بلاد العالم ليعلن أن مصر هى التاريخ.

أثناء الاعداد لاحتفال الجامعة الروسية بمرور مائة عام على اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون دعتنى كلية الفنون الجميلة التى افتتحت هذا العام لأول مرة لإلقاء كلمة للطلاب. أعجبتنى فكرة أن يكون الاحتفال داخل جامعة لما يمثله هذا من الاعتداد بتاريخنا وغرس قيم الانتماء، وخطر ببالى أن أحدثهم عن اكتشاف الهوية، وحين دخلت الكلية انبهرت بما صنع الطلاب فى المعرض المشترك بينهم وبين الأساتذة والمعيدين ، وبالتماثيل المصرية الكبيرة التى استقبلتنى والضيوف فى مدخل الجامعة والتى تم إهداؤها بعد الحفل إلى مدينة بدر لتزين أحد ميادينها.

قلت لهم أن الذى يجمعنى بهم رابطان أساسيان ، الأول أن الكاتب الروائى لا بد أن يعرف الكثير عن الفنون الأخرى التشكيلية والتعبيرية من أنواع الرقص المختلفة والأوبرا والباليه والموسيقى بأنواعها وأننى كتبت زاوية فى إحدى الصحف عن الفنانين التشكيليين المصريين ، ثم سألت الفنان د. محمد طه حسين رئيس هيئة قصور الثقافة وعميد كلية الفنون التطبيقية آنذاك كيف أقرأ لوحة فكتب لى جدولا لمتابعة محاضرات الكلية لمدة سنة كاملة ، وبالفعل داومت على حضور هذه المحاضرات وأفادتنى مدى الحياة، أما الرابط الثانى الذى يربطنى بهم فهو الأدب الروسى فكلنا خرجنا من معطف جوجول كما يقول المثال الشهير فى الأدب عن تأثر الأدباء بقصة المعطف لجوجول. وسألتهم: من منا لم يتأثر أيضا بجوركى وتولستوى ودستويفسكى وتورجنيف وتشيخوف. وطلبت منهم أن يرسموا بجانب الروايات المصرية رواية روسية كل عام فى مادة التعبير الفنى احتراما لهذه الروابط الوثيقة التى بيننا.

حين اكتشف شامبليون حجر رشيد فى نهاية القرن الثامن عشر وبعد أن تم فك شفرة الرموز المصورة للغة الهيروغليفية بمساعدة الكاهن المصرى يوحنا الشفتشى الذى سافر مع الحملة إلى فرنسا وعلّم الفرنسيين اللغة القبطية، كما علمهم مقارناتها بالكلمات المكتوبة على حجر رشيد، وبدأ يساعد فى فك رموز هذا الحجر ولم يذكره أحد بعد ذلك. فى هذه اللحظة فحسب عرف الإنسان المصرى هويته الخاصة التى تثبت أنه صاحب أقدم حضارة فى التاريخ ، وأدرك أن عليه أن يثور فى وجه الظلم واتحد المسلم مع المسيحى تحت راية الوطن ، فكانت ثورة ١٩١٩، وتوالت الاكتشافات. وحين توصل الأثرى هوارد كارتر إلى كشف مقبرة توت عنخ أمون بعد أن استمرت الحفريات طويلا فى وادى الملوك ، ولاحظ صبى فى الثانية عشرة من عمره اسمه حسن من عائلة عبد الرسول الشهيرة فى الكشف عن الآثار وجود ممر أدى إلى المقبرة أنقلب كل شيء فى رحلة كشف الآثار المصرية ، إذا كانت المقبرة وعلى غير العادة سليمة تماما محتفظة بكل كنوزها وأصبح الملك الصغير توت عنخ أمون أشهر ملوك الدنيا بقناعه الذهبى الذى صنع من كتلة ذهب واحدة ، والمبهر فى دقة صناعته ومجوهراته والتماثيل المحيطة به والرسومات الجدارية التى تبطن قبره على الرغم من أنه حكم مصر وهو فى التاسعة بعد أبيه أخناتون وأمه السيدة الصغيرة وأنه مات وهو فى التاسعة عشر ، وقيل أنه قتل بضربة على رأسه إذ وجدوا كسرا فى الجمجمة وكسرا فى الحوض ، ثم أثبتت الدراسات بعد ذلك أن الثقب الموجود فى الرأس هو بغرض التحنيط وأنه أصيب بالتهاب نتيجة الكسر أدى إلى وفاته ، بالإضافة إلى إصابته بمرض الملاريا الذى كان منتشرا فى ذلك الوقت ، قبل الوصول إلى علاج حقيقى لمواجهته.

كما تم التعرف على أمراض جينية منقولة إليه عبر أسرته. لم يكن توت عنخ أمون ملكا عظيما كأبيه أوكرمسيس الثانى أو تحتمس أو غيره من ملوك مصر القديمة فى مراحل التاريخ المختلفة ، ولا أتخيل أن صبيا فى التاسعة قادر على اتخاذ قرار ، مثل الذى اتخذه توت بمجرد الوصول إلى الحكم ، بأن يعود إلى آلهة مصر القديمة المتنوعة وإلى آمون وأن يترك العاصمة التى انتقل إليها والده أخناتون وهو يدعو إلى الإله الواحد. ويترك كل ما دعا إليه أبوه وما دخل بسببه فى صراع سياسى مع كهنة مصر القديمة.

بمجرد وفاة اخناتون سيطر كهنة آمون على الصبى وعادت الأمور إلى مجراها السابق ، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا ، إذ أن شبهة المؤامرة فى طريقة موته رغم أن العلم الحالى نفاها ما زالت مستمرة ، لأنه لا يوجد تفسير للأحداث السريعة التى تمت بعد وفاة توت مباشرة ، إذ أرسلت أرملته رسالة إلى ملك الحيثيين تطلب منه ترشيح أحد أبنائه للزواج منها وبالفعل أرسل أميرا لكنه لم يصل إلى مصر وتم اغتياله فى الطريق ، ثم تزوجت من أى الوزير الأول لزوجها وهو نفس الوزير الذى نصح توت وهو فى الحادية عشرة من عمره بالإعلان عن عدم الممانعة فى عبادة الآلهة الأخرى ويكون بهذا قد قضى على رسالة أبيه أخناتون ، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، وكأنه فيلم من أفلام المغامرات الفاقعة ، إذ قتل الوزير أى وتزوجت أرملة توت مرة ثانية من حور محب الوزير الثانى له ، وباعتلائه العرش وقيادة الجيش دخلت مصر مرحلة أخرى من تاريخها تم فيها محو وإزالة كل ما له علاقة بفترة حكم كل من إخناتون وابنه توت عنخ أمون.

علم المصريات

مع عظمة الاكتشافات الأثرية التى قام بها أجانب بمساعدة مصريين ، والإنكار الذى صاحب دورهم بلا مبرر ورفض أن يكون المصريون مسؤولين حتى عن الحراسة إلا تحت الإشراف الأجنبى ، ثم ظهور أثريين مصريين من أمثال سليم حسن وغيره غير وجه التاريخ وأنشأ علما كبيرا اسمه علم المصريات ، يتطور بسرعة هائلة مع كل اكتشاف جديد ومع اهتمام العالم كله بهذا العلم ظهرت له عدة مدارس على رأسها المدرسة الفرنسية وهى الأشهر والأقوى والتى تقوم الآن بكتابة تاريخ القدماء المصريين وإعادة تعديله مع كل اكتشاف وتلخصه فى كتب صغيرة يدرسها طلاب المدارس الأوروبية ويتعلمون تاريخنا ، دون أن نهتم نحن بذلك ، وفقا للمناهج الجامدة التى لا تضيف جديدا ، ولا تساير اكتشافات العصر وتقدم لهم اختصارا لا يليق بحضارتنا ولا تدفع الطالب للبحث والاهتمام بمعرفة المزيد عن أصله العريق.

ينطبق هذا على كل المراحل المختلفة للعصور والحضارات التى توالت على أرض مصر سواء العصر القبطى أو البطلمى أو الرومانى أو الإسلامى ، ولأن التاريخ تكتبه السلطة الحاكمة التى لا تهتم بالطبع بكتابة ما مر به الشعب أو ما يعبر عنه ، أو يكتبه من جاءوا مع الجيش المنتصر الذين كثيرا ما يهمشون الشعب المهزوم ولا يحترمون حضارته ويكون كل همهم هو نهب ثروات البلد المحتل.

وأذكر هنا قصة شهيرة عن محاولة نقل تمثال أجاممون من مدينة الأقصر ، ولكنهم لم يستطيعوا نقله إلى سفينة تحمله إلى البحر المتوسط ومنه إلى لندن ، ونحمد الله على هذا الفشل ، إذ لو كان قد نجح لتم فك كثير من المعابد المصرية ونقلها إلى أنحاء متفرقة من العالم ، وأظن أن بعضنا حدث له ما يحدث معى حين يدخل أى متحف فى أى بلد فى العالم ، ويكتشف أن أكثر من نصف المتحف هو آثار مصرية مسروقة أو مهداة ، أو يتحسر معى على سقف معبد دندرة الذى رسمت عليه دائرة الفلك أو الزوديك الذى يزين منذ سنوات طويلة متحف اللوفر فى باريس ، بعد أن كان يزين سقف أحد حجرات قدس الأقداس الخاصة بأوزير ويصور كسوف الشمس عام ٥١ قبل الميلاد ويشير إلى النجوم والكواكب فى مجرتنا الشمسية والأبراج الفلكية عند المصرى القديم ، ويضم حوالى ٣٦ مجموعة نجمية هى أبراج (الحمل، الثور، الجوزاء.. الخ) وبعض الأفلاك التى استطاع أن يحدد وجودها فى السماء من نجوم وكواكب وكويكبات ويشرح السقف كثيرا من الرموز الفلكية والزمنية التى عرفها المصرى القديم.

ولهذا الموضوع قصة غريبة يقال ان الفنان الفرنسى دوفيال رسم نسخة من هذه الرسوم ونشرها فأثارت ضجة ثم ادعى الفرنسيون أنها من اكتشافات ديزيه أثناء الحملة الفرنسية ، وأن من حقهم أن يأخذوها إلى فرنسا باعتبارها أثرا فرنسيا ، أما القصة الثانية فتنسب إلى الخديوى إسماعيل وقيل أنه أهداه إلى الملكة الفرنسية أوجينى فى حفل افتتاح قناة السويس ، لكن الحقيقة التاريخية تقول أن أوجينى تعرفت على هذا السقف فى معرض للآثار المصرية فى باريس وأنها حين زارت مصر فى حفل قناة السويس وزارت متحف بولاق طلبت من الخديوى أن يهديها قلاده ذهبية للملكة إياح حتب، ولكن ميريت باشا مدير الآثار آنذاك، والذى كان موطنًا فرنسيًا رفض إعطاءها القلادة.

وبسبب توالى غزو أرض مصر وعدم كتابة تاريخها بأيدى أبنائها ضاعت تفاصيل كثيرة لم يسجلها أهلها ، وقد يفسر هذا اهتمام الكاتب المصرى الروائى بإعادة كتابة تاريخ بلاده وملء الفراغات التى تركها المؤرخ والتى تمثل صوت الناس ، لهذا كثيرا ما أذكر أن الجبرتى العظيم وهو يدون أحداث الحملة الفرنسية على مصر ويكتب مشهد دخول الفرنسيون ساحة المسجد الأزهر بخيولهم ، لم يذكر صرخة الطفل الذى شاهد أباه وهو يقتل على يد أحد هؤلاء الجنود ، هذا ما يكتبه الروائى ، لكن المشكلة الأكبر هى فى السؤال عن سبب الانقطاع بيننا وبين حضارتنا العظيمة القديمة التى وصلت فى لحظة ما إلى بناء الهرم كمرصد فضائى ، وقد رصدت هذه المعلومات فى روايتى وادى الكون وأنقلها لكم بتصرف:

إن ارتفاع الهرم الأكبر هو ١٤٩,٤ مترًا، وأن المسافة ما بين الأرض، والشمس ١٤٩,٤ مليون كيلو متر، وأن محيط الهرم مقسوم على ارتفاع الهرم = ٣,١٤ وهذا هو نفس الرقم إذا ما قسمنا محيط غرفة الملك على ارتفاعه، وكذلك تابوت الملك أيضًا. بالإضافة إلى المعلومات المذهلة عن طاقة الهرم ، التى تمنع قطعة لحم طازجة من التحلل لسنوات إذا ما وضعت داخل الهرم.

بوفال أثبت أن الهرم بنى فى الحقبة الزمنية من 10 إلى 12 ألف عام ق.م. عكس المعروف حتى الآن من أنها بُنيت عام 2450 ق.م

طلاب المدارس الأوروبية يتعلمون تاريخنا ويدرسون علم المصريات بينما مناهجنا تقدم اختصارا لا يليق بحضارتنا ولا تساير اكتشافات العصر

وأن هناك خطًا وهميًا، مستقيمًا يمر وسط الهرمين، والثالث منحرف، وخارج قليلا إلى اليسار. تمامًا مثل موقع النجوم فى درب التبانة، وعلى نسق حزام أوريون، أو حزام الجبار. لقد فسر هذا الاكتشاف للعالم الأثرى "بوفال" صاحب هذه النظرية، فى لحظات سبب أحجام الأهرامات، والمسافات بينها بشكل شديد الدقة.

وقد أظهر "روبرت بوفال" فى بحثه الذى أقام الدنيا، ولم يقعدها أن العودة بهذا التماثل بين الهرم، والأجرام السماوية، تثبت أن الهرم بنى فى الحقبة الزمنية التى تعود إلى من ١٠ إلى ١٢ ألف عام ق.م. عكس المعروف حتى الآن من أنها بُنيت عام ٢٤٥٠ ق.م.

ملاحظة أخرى أسوقها لكم عن وجود رسم لدرب التبانة على المعابد فى مصر القديمة ليس معناها أن المصرى القديم لم يعرفها إلا حين رسمت. وأن نضع فى الاعتبار أن كل المعابد المصرية، قد بنيت فى مواقع مرتبطة بالأبراج السماوية، ولم تبن بالصدفة، أو حسب المدينة، أو احتياج الناس.

ونعود إلى احتفال الجامعة الروسية باكتشاف مقبرة توت عنخ آمون الذى بدأ بافتتاح أ. د شريف فخرى رئيس الجامعة معرض "فى رحاب ماعت" ويضم المعرض أعمال الفنانين: محمد عرابى، محمد ثابت بدارى ، جرجس سعيد، حسن فداوي، ،عمر عبد الظاهر، حنان سمير، شريف شكري، شيماء بغدادى ، أحمد عيد، أشرف الصويني، إياد عرابي، نديم عرابي، حسام الدين مصطفى، مايكل وحيد. وقام بتنظيم المعرض كل من الفنانين: نديم عرابي، يمنى شريف أشرف الصويني.

كما تم تكريم عدد من الأساتذة والفنانين والكتاب والإعلاميين.

كل سنة وأنتم طيبون

بقلم: هالة البدري

مؤشرات

منبر واصل .. رسالة فكر

محمود الحضري

فى قناته «منبر واصل» على يوتيوب يتبنى الصديق والكاتب الصحفى الدكتور مصطفى عبد الرازق تقديم صورة مختلفة عن برامج الفكر الإسلامي، وليس مجرد «الإسلام السياسي»، فالفرق واضح فيما يقدمه هو، وبين ما يقدمه الآخرون فى مقالات ودراسات.

فغالبية من يتبنون دراسات الإسلام السياسي، يغلب عليهم طابع المصلحة والمغانم المادية، فى وقت تحولت فيه قضية «الإسلام السياسي» إلى «سبوبة»، لكل من يريد الاسترزاق، بينما قلة هم أصحاب الرؤية والقضية فى هذا الملف المهم والمهمومين به وبما وراء هذا الشأن.

فى المقابل وخلال ٣٤ حلقة حتى الآن يسعى الدكتور مصطفى عبد الرازق لتقديم رؤية مختلفة لعدد من قضايا الفكر الإسلامي، انطلاقا من أرضية حددها فى رسالته الأولى للبرنامج والتى أكد فيها أن «منبر واصل.. منصة الكترونية مرئية تطل على متابعيها من خلال اليوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي.. وتهدف إلى تعزيز الثقافة الإسلامية الوسطية من خلال تقديم مواد متنوعة من بينها عرض فكر رموز التنوير العربى والاسلامى فى عالمنا المعاصر وكذلك تقديم مراجعات للكتب الحديثة والتراثية بما يساهم فى التعريف بقضايانا الحديثة وتراث الأقدمين، كما تقدم لقاء شهريا مفتوحا مع المتابعين وتعرض للقضايا التى تشغل بال الكثير من المسلمين وتثير الجدل بينهم فضلا عن لقاءات وحوارات مع رموز الثقافة والفكر فى مصر إلى جانب الإعداد مستقبلا لتنظيم ندوات مختلفة لتوسيع دائرة الحوار والنقاش حول الموضوعات الملحة والمطروحة على المسلمين فى واقعهم المعاصر، وشعارها هو «الوسطية» منزلة بين الافراط والتفريط وضرورة إعلاء العقل». ومن لا يعرف الكاتب والباحث الدكتور مصطفى عبد الرازق فهو رجل مهموم بالفكر الإسلامى الوسطي، ومنقب فى تراث الكتب ذات العلاقة بالفكر الإسلامي، وباحث عن الحقيقة وكل المسكوت عنه فى هذا المجال، من أجل المعرفة، ونشر ما يهم أصحاب الفكر والمهتمين بقضايا الإسلام والخطاب الديني، وكل ما يتعلق بأمور تجديد الفكر والخطاب الدينى المستنير.

والمتابع لمنبر واصل من أول حلقة يلاحظ أن فى كل حلقة إضافة مهمة، فى البحث فى كنوز الفكر، ومناقشة أمور شغلت الناس على مدى سنوات طويلة، مثل أراء «إبن تيمية، والخلاف حولها، ورؤى المفكرين والباحثين فى أفكار «إبن تيمية»، بين مؤيد ومعارض ومدافع، ونفس الشئ حول فكر «ابن رشد»، والعلاقة بين فكره فى الغرب والشرق. ومن اللافت للنظر أن منبر واصل يعتبر قراءة فى كتب الفكر الإسلامى بشتى تواجهاتها، ليقدم وجبة سهلة التناول لكتب قد يكون كثيرون لم يقرأوها، بل هذا التناول يمثل فى مجملة دافعا لقراءة مثل هذه الأعمال الفكرية، أو إعادة قراءتها لاستكشاف جوانب جديدة فيها نوه إليها ما عرضه عبد الرازق من خلال «منبر واصل».

الأهمية الجديدة فى منبر واصل عن غيره من البرامج المشابهة، أو من كتابات بعض المهتمين بقضايا الفكر الإسلامي، أو الإسلام السياسي، أنه محور اللقاءات التى تم بثها حتى كتابة هذه السطور، طغت عليها عقلية الباحث بعيدا عن مفهوم الإنحياز، لفكرة ورؤية معينة بذاتها.

نستطيع القول أن ما يقدمه «منبر واصل» هو عين ثالثة فى قراءة إنتاج الباحثين فى الفكر الإسلامي، من بينها الجدل حول «صحيح البخاري»، وقراءة فى فكر الإمام «البخاري»، وتحميله حالة التردى للخطاب الديني، بعدما أصبح البخارى مثار جدل، وما يحتويه «صحيح البخاري» من أفكار وأحاديث لا تتوافق والمنهج العقلي.

حالة من الحركة السريعة من عصر إلى عصر ينتقل بنا بينها «منبر واصل» من عمق تاريخ الإسلام وفكره، من خلال التعرض للعديد من القضايا المسكوت عنها، مثل خلافات الصحابة رضوان الله عنهم، إلى الجدل فى القرن الماضى حول رواية «أولاد حارتنا» للأديب الكبير وصاحب نوبل، «نجيب محفوظ»، وتفاوت الرؤى حولها، ومن هنا تعرض «منبر واصل» لرؤى مختلفة حول الرواية، وتناولها للذات الإلهية، والأنبياء. وحالة التنوع فى «منبر واصل» فيما يقدمه من قراءات لتاريخ الإسلام فى العالم، مع حوارات مفتوحة مع من يحملون على عاتقهم راية البحث فى علوم الفكر الإسلامي، وفلسفته، او ما يعرف بـ«علم الكلام»، بخلاف تناول ما جرى للإسلام فى الغرب والإرهاب والفكر المتشدد، و القضايا محل إهتمام المفكرين والباحثين، وإن جاءت القضايا العامة حتى الآن بشكل أقل فى «منبرواصل».

يعتبر «منبر واصل» فيما قدمه الآن، هو بمثابة جهد مؤسسة يقوم به فرد واحد، عبر منتجات متنوعة، بينها النقاش والحوار عبر ندوات، محددة الأهداف.